

تعسف بعض الكتاب فى تفسير آيات القرآن وفق النظريات العلمية الحديثة

وانحرفهم فى هذا عن مدلول اللغة وأغراض الكتاب الكريم ومن هنا تظهر لنا بشاعة الجناية الكبرى التى جناها بعض من أقحموا أنفسهم فى الدراسات الإسلامية إذ يحاولون أن يفسروا بعض آيات القرآن تفسيراً يجعلها منطوية على النظريات العلمية الحديثة، ويسيون بذلك أبلغ إساءة، من حيث لا يعلمون، إلى الإسلام والقرآن من عدة وجوه:

١ - فهم أولاً يتعسفون كل التعسف فى تفسير آيات الكتاب الكريم، وتحميلها ما لا تحتل من المعانى وما لم يفهمه العرب منها، ولا يمكن أن يفهمه منها ملّم باللغة العربية وأساليبها فى البيان، حتى يتاح لهم أن يقرروا أن القرآن قد سبق البحوث الحديثة فيما قالت به من نظريات وما اكتشفته من قوانين، أو قد تنبأ بما عسى أن تنتهى إليه من نتائج، والأمثلة على ذلك تجل عن الحصر فيما يخرجه هؤلاء من كتب وما ينشرونه من مقالات.

فمن ذلك مثلاً ما يقوله أحدهم فى فصل عقده فى كتابه عن وحدة الخلق إذ يفسر قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾^(١)، بأن النفس هى البروتون وأن زوجها هو الإلكترون، وهما العنصران اللذان تتألف منهما الذرة. وفى ذلك يقول، بعد كلام كثير عن الجسيمات التى تتألف منها الذرة: «وهذه الحقيقة العلمية التى يتبها العصر الحديث قد جاء بها القرآن الكريم منذ ألف وأربعمائة سنة فى صراحة ووضوح، إذ تقرر الآية ١٨٩ من سورة الأعراف أن كل ما خلق الله إنما خلقه من نفس واحدة وجعل منها زوجها. أليست هذه هى البروتونات والإلكترونات... الكهارب الواحدة موجبة وسالبة، أى النفس الواحدة.. الزوجية الجنس بين موجب وسالب»^(٢) - ومن الغريب أنه كان يكفى هذا الكاتب لاتقاء تخبطه هذا وتعسفه فى تفسير الآية الكريمة أن يقرأها كاملة ويتأمل معناها إذ تقول: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْنَا صَبْلاً لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾^(١٨٩).

(١) آية ١٨٩ سورة الأعراف.

(٢) ص ١٣٦ من كتاب «القرآن والعلم الحديث». لعبد الرزاق نوفل.

ومن ذلك أيضاً ما يقوله المؤلف نفسه فى فصل عقده
 عن الأقمار الصناعية وغزو الفضاء إذ يفسر قوله تعالى :
 ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ
 كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ ^(١) ، فيزعم أن الآية تشير إلى الأقمار
 الصناعية وسفن الفضاء وما تحمله من دواب. وفى ذلك يقول :
 «أطلقت روسيا أجهزة علمية سميت بالأقمار الصناعية
 تدور حول الأرض، وأتبعتها أجهزة أخرى تحمل نوعاً من
 الكائنات الحية لتدرس تأثير الانطلاق والارتفاع والإشعاع
 والضوء والجاذبية... وهذه الأقمار التى خرجت من الأرض
 فى الوقت الذى انتشر فيه الإلحاد لتتحدث عما فى الكون
 الغامض وتزيح بعضاً من هذا الغموض، ألا يمكن أن تكون
 هذه هى الدابة التى تنبأ بها القرآن الكريم فى سورة النحل
 (صوابه فى سورة النمل) فى الآية ٨٢ التى تقول : ﴿وَإِذَا وَقَعَ
 الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا
 يُوقِنُونَ﴾ ^(٢) .

(١) آية ٨٢ من سورة النمل.

(٢) ص ١٨٧ - ١٩٠ من كتاب «القرآن والعلم الحديث لعبد الرزاق نوفل».

فلعله يزعم أن الكلبة «لايكا» التي وضعها الروس في أول تجربة لسفن الفضاء قبل أن يضعوا فيها أناسي من البشر قد تكلمت بلغة الكلاب في أثناء دورانها حول الأرض فنعت على الأدميين عدم إيمانهم بآيات الله!!

ومن ذلك أيضاً ما يقوله المؤلف نفسه في فصل عقده عن «الغشاء الأحوى» إذ يفسر هذا الغشاء في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ۖ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ۖ﴾^(١) بأن المقصود منه الفحم الحجري. وفي ذلك يقول: «لثبت هذه الكتل الضخمة من الأشجار والنباتات مطمورة في باطن الأرض سنين عديدة حتى اكتشفها الإنسان واستعملها وقوداً سماه فحمًا. أليس ذلك ما يقول به القرآن إذ أن الله هو الذي أخرج المرعى ثم جعله غشاءً أحوى»^(٢) - فبحسب ما يراه هذا الكتاب يكون الله تعالى قد مَنَّ على الناس في القرن السابع الميلادي بتطور جيولوجي لم يكونوا قد عرفوه بعد ولا يستطيعون فهمه من عبارة الآية!

(١) آيتي ٤ ، ٥ من سورة الأعلى.

(٢) ص ٧٧ من الكتاب السابق ذكره في هامش (٢) في الصفحة السابقة.

ومن ذلك ما يقوله المؤلف نفسه فى فصل عقده عن انشقاق القمر، إذ يفسر قوله تعالى: ﴿ أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ ^(١) فيقول: «إن القمر يقترب من الأرض، وهذا الاقتراب وإن كان يسير حثيثاً (يريد أن يقول بطيئاً فجاء بكلمة تفيد ضد المعنى الذى يريده) إلا أنه بتوالى العصور سيجعل القمر يقترب من منطقة تفوق الجاذبية منها تلك التى تجعله على بعده من الأرض الذى يحفظه.. وإن أول علامة على دخول منطقة الخطر هو حدوث زلازل مدمرة فى القمر حتى يصل الحال إلى زلزلة عنيفة دائمة تسبب انشقاقه. وإذا انشق وتهاوى مكوناً طبقات حول الأرض كما فى زحل، أفلا يؤثر ذلك فى جاذبية الكواكب وأجرام تمسكها جاذبية القمر نفسه؟... فهلا يكون ذلك دليلاً على قيام الساعة؟... ويكون انشقاق القمر لذلك دليلاً على اقترابها؟ أولاً يكون القرآن قد سبق العلم الحديث بعدة قرون؟ أولاً يلقي ذلك بضوء على تفسير الآية الأولى من سورة القمر التى تقول: ﴿ أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ ^(٢)؟!»

(١) آية ١ من سورة القمر.

(٢) نقلنا هذا النص بعباراته الراككة نفسها من ص ١٦٠ من الكتاب السابق

ذكره فى التعليق السابق.

وهذا قليل من كثير مما حواه هذا الكتاب العجيب وما تحويه كتب أخرى على شاكلته. وانظر إلى أى مدى يصل التعسف بهؤلاء فى تفسير آيات الذكر الحكيم وتحميلها ما لا تحتمل، وفى التلاعب بكلام الله واتخاذ هزواً.

٢ - ولا يقتصر الأمر على تعسف هؤلاء فى تفسير آيات الذكر الحكيم وتحميلها من المعانى ما لا تحتمل، بل إنهم بمسلكهم هذا يعرضون كلام الله للكذب والتكذيب: تعالت كلمات الله عن ذلك علواً كبيراً، وذلك أن كثيراً من النظريات العلمية ليست ثابتة. ولم تقل الكلمة النهائية فيما تعالجه من ظواهر. وقد تظهر كشوف أخرى تبين عن خطئها أو عن نقصها. فإذا فسر كتاب الله على وجه يتفق مع نظريات حاضرة، ثم ظهر عدم صحتها فيما بعد، فإن هذا يدعو إلى تكذيب كتاب الله، أو على الأقل زعزعة ثقة الناس بحقائقه.

٣ - وهم بذلك أيضاً يصفون الإسلام بموصمة هو منها براء إذ يحاولون بذلك أن يظهروا القرآن بمظهر كتاب يقرر النظريات العلمية على أنها عقائد دينية نزل بها الوحي الأمين من قبل الله تعالى. وهذا مخالف لاتجاه الإسلام

وروحه ، ولما يحث عليه القرآن من التأمل في ظواهر الكون
واستنباط قوانينها العامة ، ولما يقرره من مبادئ سامية
تتعلق بحرية التفكير والتعبير.

